العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية

إذاعة الكفيل

سلسلة من حلقات برامج إذاعة الكفيل

صوت المرأة المسلمة

مع الحسين عليه السلام

إعداد

آيات حسون

العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
إذاعة الكفيل

كربلاء المقدسة
FM-95.3MHZ
النجف الأشرف
FM-103.9MHZ
ذي قار
FM-95.3MHZ
ميسان
FM-98.3MHZ
radio@alkafeel.net

الكتاب: مع الحسين عليه السلام.
الإعداد والتقديم: آيات حسون.
المونتاج الإذاعي: نبأ شاكر.
الناشر: قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية المقدسة/ شعبة إذاعة الكفيل.
التصميم: علاء سعيد الأسدي.
الإخراج الطباعي: شيماء سامي.
التدقيق اللغوي: عمار كريم السلامي.
المطبعة: مطبعة دار الكفيل.
الطبعة: الأُولى.
عدد النسخ: ٢٠٠٠

محرم ١٤٣٦هـ - تشرين الثاني ٢٠١٤ م

مُقَدِّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمدٍ وآله الطاهرين وسلامٌ على أصحابه البررة المنتجبين واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

أما بعد:

لا يخفى أنَّنا مازلنا بحاجة إلى تكريس الجهود ومضاعفتها نحو نشر المفاهيم الأخلاقية والتربوية، وترسيخ المفاهيم الإيمانية التي تضمنتها رسالة الإسلام لبناء الفرد بناءً فعلياً حقيقياً؛ ليكون آنطلاقة سليمة لبناء ذلك الكيان الإنساني الشامخ الذي ماهو إلا اللبنة الأولى لبناء مجتمع إسلامي راسخ البنيان، عتيد المراسي، لذا ومساهمةً في ذلك جاءت برامج إذاعة الكفيل صوت المرأة المسلمة كسبيل للوصول إلى ذلك، وقد أخذت هذه البرامج طريقها إلى أسماع الكثيرين عبر أثيرها وعبر شبكة الإنترنت العالمية صوتاً، ولأجل تعميم الفائدة ارتأت الإذاعة إيصال برامجها كتابياً إلى أيدي الذين لم يسعفهم الوقت لسماعها وذلك بطباعة بعض من برامجها وإصدارها كراريس.

الحلقة الأولى

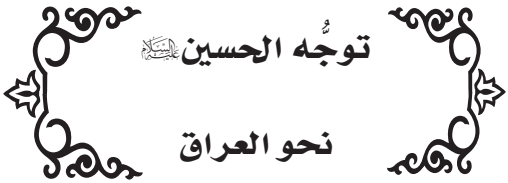

إنَّ الدُّنيا منذ أن خلقها الله جلَّ وعلا كانت وما زالت معتركاً بين جنود الله وجنود الشيطان، وبين الحق والباطل، فلا الشيطان انتهى من عمله الإغوائي منذ أن طُرِد، ولا الأنبياء والأوصياء عليهم السلام تراجعوا عن وظائفهم الشرعية لهداية الأمة منذ أن بُعِثوا، فقاموا بالواجب الإلهي رغم الصعوبات الشديدة وتحمّلوا أعظم المصائب في سبيل الله.

وممن نهج هذا المنهج وسار بهذه السيرة الكريمة هو الإمام الحسين عليه السلام

فقد سار على نهج جدهﷺ رسول البشرية، ومنقذ الأمة من الحيرة والضلالة، وجهدعليه السلام غاية الجهد لإحياء كلمة العدل وإمحاء الظلم، فلما رأى بعد خمسين عاماً من رحلة جدِّه المصطفىﷺ وأبيه المرتضىعليه السلام تسلَّط أعداء الإسلام والمسلمين على الخلافة الإسلامية والقضاء على كثير من المثل الحقة، نهضعليه السلام بوجه الطغاة الفجرة، والبغاة الظلمة، مظهراً براءته منهم، ومعلناً أهدافه من هذه النهضة الخالدة بقولهعليه السلام: «**أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر**»[1].

فهو الذي أحيى دين جدِّهﷺ بعد أن صار لعبةً في أيدي المنافقين وأعداء الدين، فنهض لتحرير الأمة من الاستعباد وإيقاظهم من النوم والرقاد، وضحىعليه السلام بنفسه الزكية، وبأعز أولاده وأصحابه، وروى بدمه الطاهر تلك الشجرة الطاهرة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء.

لما قدم الإمام الحسينعليه السلام إلى مكة المكرمة في الثالث من شعبان سنة ٦٠ للهجرة، بقي فيها ذلك الشهر وشهر رمضان وشوال وذي القعدة واشتغل هناك بعبادة الله وطاعته، واجتمع إليه في تلك الفترة جمع من شيعة الحجاز والبصرة، فأحرم الإمامعليه السلام للحج في ذي الحجة.

وفي الثامن من هذا الشهر وهو يوم التروية قدم عمرو بن سعيد بن العاص إلى مكة في جمع كثيف وأظهر أنَّه يريد الحج، لكنه أُمر من قبل يزيد «عليه لعنة الله» بإلقاء القبض على الإمام الحسينعليه السلام، ثم إرساله إلى يزيد أو

(١) بحار الأنوار: ٤٤/ ٣٢٩.

قتله، وكان الحسين عليه السلام يعلم مكنون خاطرهم فعدل عن الحج إلى العمرة، وطاف بالبيت، وسعى بين الصفا والمروة وأحلَّ، فتوجه من يومه إلى العراق، ومن الشخصيات التي التقى بها الإمام الحسين عليه السلام قبل خروجه من مكة هو محمد بن الحنفية، الذي سار إلى الحسين عليه السلام في الليلة التي أراد الخروج صبيحتها من مكة، فقال: «يا أخي! إنَّ أهل الكوفة من قد عرفت غدرهم بأبيك وأخيك، وقد خفت أن يكون حالك كحال من مضى، فإن رأيت أن تقيم فإنَّك أعزّ من في الحرم وأمنعه، فأجابه الإمام الحسين عليه السلام: **يا أخي! قد خفتُ أن يغتالني يزيد بن معاوية في الحرم، فأكون الذي يُستباح به حرمة هذا البيت**».

فقال له ابن الحنفية: فإن خفتَ ذلك فَسِر إلى اليمن أو بعض نواحي البَّر، فإنَّك أمنع الناس به ولا يقدر عليك أحد.

فقال عليه السلام: «**أنظر فيما قُلتَ**»، فلما كان في السحر ارتحل الإمام الحسين عليه السلام فبلغ ذلك ابن الحنفية، فأتاه فأخذ زمام ناقته التي ركبها وقال له: يا أخي! ألم تعدني النظر فيما سألتك؟

فقال عليه السلام: **بلى**.

فقال ابن الحنفية: فما حداك على الخروج عاجلاً؟

فقال عليه السلام: «**أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله بعد ما فارقتك فقال: يا حسين اخرج فإنَّ الله قد شاء أن يراك قتيلاً**».

فقال له ابن الحنفية: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، فما معنى حملك هؤلاء النساء؟ فأجابه عليه السلام: «**إنَّ الله قد شاء أن يراهُنَّ سبايا**»[1].

روى الشيخ المفيد أنَّ عبد الله بن جعفر أَلحق ابنيه عوناً ومحمداً بالإمام الحسين عليه السلام وكتب على أيديهما كتاباً يقول فيه: «أما بعد... فإنِّي أسألك بالله لما انصرفت حين تنظر في كتابي فإني مشفق عليك من الوجه الذي توجَّهت له أن يكون فيه هلاكك واستئصال أهل بيتك، وإن هلكت اليوم طفئ نور الأرض، فإنَّك علم المهتدين ورجاء المؤمنين، ولا تعجّل بالمسير، فإنِّي في أثر كتابي والسلام».

فلما وصلا الإمام الحسين عليه السلام ودفعا إليه الكتاب وجهدا به في الرجوع، قال لهم عليه السلام: «**إنِّي رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام، وأمرني بما أنا ماضٍ له**»، فقالا له: «فما تلك الرؤيا؟»، فقال عليه السلام: «**ما حدَّثتُ أحداً بها ولا أنا محدِّث حتى ألقى ربِّي عزَّ وجل**»[2].

فلما أيس منه عبد الله بن جعفر رضي الله عنه أمر ابنيه عوناً ومحمداً بلزومه والمسير معه والجهاد دونه، ورجع مع يحيى بن سعيد إلى مكة، وتوجه الحسين عليه السلام نحو العراق مجداً لا يلوي عن شيء حتى نزل ذات عرق، وعندما وصل الإمام الحسين عليه السلام الثعلبية لقيه رجل، دخل على الإمام عليه السلام فقال له عليه السلام: «**من أي البلاد أنت؟**

---

(١) بحار الأنوار: ٤٤/ ٣٦٤.

(٢) بحار الأنوار: ٤٤/ ٣٦٥.

فقال الرجل: من أهل الكوفة.

فقال الإمام عليه السلام: «**أما والله يا أخا أهل الكوفة لو لقيتك بالمدينة لأريتك أثر جبرئيل عليه السلام من دارنا، ونزوله بالوحي على جدي صلى الله عليه وآله، يا أخا أهل الكوفة! أفمستقى الناس العلم من عندنا، فعلموا وجهلنا؟ هذا ما لا يكون**»[1].

(١) الكافي: ١/ ٣٩٨.

الحلقة الثانية

كان الشاعر الفرزدق من الشخصيات التي التقى بها الإمام الحسين عليه السلام وهو في طريقه إلى كربلاء، ولنا في لقائه تأملات وعِبَر، فقد روى الطبري عن عبد الله بن سليم والمذري قالا: «أقبلنا حتى انتهينا إلى الصفاح، فلقينا الشاعر الفرزدق بن غالب، فوافق حسيناً عليه السلام فقال له: أعطاك الله سؤلك وأملك فيما تحب، فقال له الحسين عليه السلام: **بيِّن لنا نبأ الناس خلفك**، فقال له الفرزدق: قلوب الناس معك، وسيوفهم مع بني أمية، والقضاء ينزل من السماء، والله يفعل ما يشاء، فقال له الحسين عليه السلام: **صدقت، لله الأمر، والله يفعل ما يشاء، وكل يوم ربنا في شأن، إن نزل القضاء بما نحب فنحمد الله**

على نعمائه، وهو المستعان على أداء الشكر، وإن حال القضاء دون الرجاء، فلم يعتدِ من كان الحقُّ نيَّته، والتقوى سريرته، ثم حرَّك الحسين عليه السلام راحلته فقال: **السلام عليك**، ثم افترقا»[1].

هذا الحوار رغم وجازته وسرعته، والذي يبدو من الرواية أنَّه جرى وطرفا الحوار على رواحلهم، وأنَّ الإمام عليه السلام لم يترجَّل ولم ينزل في ذلك المكان، إلا أنَّ فيه من الدروس والعِبَر الكثير وهو ما يدعونا إلى التوقف قليلاً للتأمل في بعض مضامينه وفقراته.

كان الطرف المحاور للإمام الحسين عليه السلام هو أبا فراس، همام بن غالب التميمي الملقب بالفرزدق، والذي يعد من أصحاب أمير المؤمنين والحسين والسجاد عليهم السلام عند علماء الرجال، وله مواقف مشرِّفة في مدح أهل البيت عليهم السلام، وقصيدته في مدح الإمام السجاد عليه السلام وفي حضور الطاغية الأموي هشام بن عبد الملك مشهورة ومعروفة.

فالرجل يعد من المحبين والموالين لأهل البيت عليهم السلام، والذابين عنهم بألسنتهم وشعرهم، إلا أنَّه ولاء لم يرقَ إلى درجة التضحية بالنفس، فهو مع علمه بما يؤول إليه أمر الإمام عليه السلام من القتل والشهادة لم يكلِّف نفسه مشقَّة الالتحاق به ونصرته.

وفي النص الذي يرويه الطبري في سياق الرواية السابقة عن الفرزدق نفسه ما يسلط الأضواء على شخصية هذا الرجل، حيث قال: «قال الفرزدق: ثم مضيت فإذا بفسطاط مضروب في الحرم، فأتيته فإذا هو لعبد

(١) بحار الأنوار: ٤٤/ ١٩٥.

الله بن عمرو بن العاص، فسألني فأخبرته بلقاء الحسين بن علي، فقال لي: ويلك! فهلا اتبعته، فوالله ليملكن، ولا يجوز السلاح فيه ولا في أصحابه.

فقال الفرزدق: فهممت والله أن ألحق به، ووقع في قلبي مقالته، ثم ذكرت الأنبياء عليهم السلام وقتلهم، فصدَّني ذلك عن اللحاق بهم، فقدمت على أهلي بعسفان، فوالله إنِّي لعندهم إذ أقبلَت عيرٌ قد امتارت من الكوفة، فلما سمعتُ بهم خرجتُ في آثارهم حتى إذا أسمعتهم الصوت، صرخت بهم: ألا ما فعل الحسين بن علي؟ فردوا علي: ألا قد قُتِل، فانصرفتُ وأنا ألعن عبد الله بن عمرو بن العاص، وكان أهل ذلك الزمان يقولون ذلك الأمر وينتظرونه في كلِّ يوم وليلة».

فالفرزدق عندما سمع مقالة عبد الله بن عمرو بن العاص، عندها همَّ أن يلحق بالحسين عليه السلام، إلا أنَّه تذكر الأنبياء عليهم السلام وقتلهم، وبما أنَّ الحسين عليه السلام ابن بنت رسول الله وسبطه ووارثه، يحمل دعوة الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فكما جرى القتل في الأنبياء عليهم السلام يجري فيه أيضاً، عندها فترت همة الفرزدق وصده ذكر الأنبياء عليهم السلام وقتلهم عن اللحاق بالحسين عليه السلام والفوز بما فاز به الأنبياء والأوصياء والإمام الحسين وأهل بيته وصحبه سلام الله عليهم أجمعين.

والفرزدق رغم وعيه الاجتماعي والسياسي الدقيق، إلا أنَّه يمثل شريحة واسعة من المجتمع الإسلامي الذي قام من أجله الإمام الحسين عليه السلام بنهضته، مجتمع الخضوع والخنوع والاستسلام للأمر الواقع، والرضا بالذل والهوان، مجتمع يريد التغيير والإصلاح ولديه الرغبة في ذلك إلا أنَّه

يريد من غيره أن يكفيه هذا الأمر، فلا يرقى إلى مستوى الثورة والتضحية والاستشهاد، فكان أحد أهداف نهضة الإمام الحسين عليه السلام هو الارتقاء بهذا المجتمع إلى هذا المستوى ولو على المدى البعيد وهذا ما حصل لاحقاً بعد استشهاد الإمام عليه السلام ومن خلال الثورات التي هزَّت عروش الأمويين حتى أسقطتها.

لم يندهش الإمام الحسين عليه السلام من جواب الفرزدق وتشخيصه الدقيق لأوضاع الناس في الكوفة، ولم يسأله عن الأسباب والعلل الكامنة وراء هذا الانقلاب العجيب؛ لأنَّ الإمام عليه السلام قد عرف الكوفة وأهلها، وقد عاصر فترة خلافة والده أمير المؤمنين عليه السلام، والفترة التي عاش محنتها الإمام الحسن عليه السلام في مدة الخلافة، فلم تكن هذه المحصّلة التي توصَّل إليها الفرزدق بجديدة عليه، ولهذا لم يناقش الفرزدق ولم يُخطِّئه أو يعترض عليه فيما أبداه من رأي وتشخيص لأمور الناس في الكوفة، وإنَّما عقَّب الإمام الحسين عليه السلام على ذلك بتسليم الأمر لله سبحانه والانقياد الكامل لقضاء الله وقدره بقوله عليه السلام: «**لله الأمر، والله يفعل ما يشاء وكل يوم ربنا في شأن، إن نزل القضاء بما نحب فنحمد الله على نعمائه، وهو المستعان على أداء الشكر، وإن حال القضاء دون الرجاء فلم يبعد من كان الحق نيته والتقوى سريرته**»[1].

فنجد الإمام الحسين عليه السلام في هذا الموقف وفي كل مواقف الشدة

(١) بحار الأنوار: ٤٤/ ٣٦٥.

والتسليم والانقياد، والإيمان الراسخ والعزيمة التي لا تلين، وعزيمة قلب كبير عزَّ عليه الإذعان، وعز عليه النصر العاجل، فخرج بأهله وذويه ذلك الخروج الذي يبلغ به النصر الآجل بعد موته ويحيي به قضية مخذولة ليس لها بغير ذلك حياة.

وعندما نستعرض كلمات الإمام الحسين عليه السلام من حين خروجه إلى حين استشهاده نجد قضية التسليم بقضاء الله وقدره شاخصةً فيها، وكانت مسك الختام لكثير من خطبه، بالإضافة إلى «الشكر» الذي لهج به لسانه في كل موطن ومنزل وشدة وبلاء، ورغم أنَّ العطش قد أثَّر في جوارح الحسين عليه السلام في اليوم العاشر من المحرم، وأصبح لسانه كالخشبة اليابسة من شدة الظمأ إلا أنَّه بقي رطباً بذكر الله وأداء الشكر والصبر، ونرى ذلك جلياً حينما ألقى الحسين عليه السلام خطابه الثاني في مكة حين خروجه وخَتَمه بقول: «**لا محيص عن يوم خُطَّ بالقلم، رضا الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه ويوفينا أجور الصابرين**»[1]، ومشهد آخر هو وقوف الحسين عليه السلام في آخر لحظات يوم العاشر وهو يتلقى دم ولده الرضيع ثم يرمي به نحو السماء، ويقول: «**هوَّنَ ما نزل بي إنَّه بعين الله تعالى... إلهي إن كنت حبست عنا النصر، فاجعله لما هو خير منه، وانتقم من الظالمين، واجعل ما حل بنا في العاجل ذخيرة لنا في الآجل**»[2].

---

(١) بحار الأنوار: ٤٤/ ٣٦٦.

(٢) كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ١/ ٤٧٣.

الحلقة الثالثة

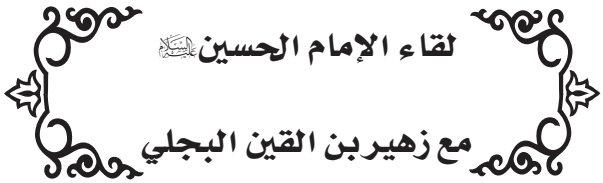

ذكر المؤرخون لقاء الإمام الحسين عليه السلام بزهير بن القين البجلي في منطقة «زرود» بشيءٍ من التفصيل، وسوف نتوقف بعض الشيء عند هذا اللقاء وما أسفر عنه من نتيجة إيجابية تحول بعدها زهير بن القين من هوى إلى هوى آخر، ومن موقع إلى موقع آخر، حتى استشهد مع الحسين في كربلاء وأصبح من شهداء كربلاء المبجلين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

عن أبي مخنف عن السدي عن رجل من بني فزارة قال: «كنا مع زهير ابن القين البجلي حين أقبلنا من مكة نساير الحسين عليه السلام، فلم يكن شيء أبغض إلينا من أن نسايره في منزل، فإذا سار الحسين عليه السلام تخلَّف زهير بن

القين، وإذا نزل الحسين عليه السلام تقدم زهير حتى نزلنا يومئذ في منزل لم نجد بدّاً من أن ننازله فيه، فنزل الحسين عليه السلام في جانب، ونزلنا في جانب، فبينما نحن جلوس نتغذى من طعام لنا إذ أقبل رسول الحسين عليه السلام حتى سلَّم، ثم دخل فقال: يا زهير بن القين، إنَّ أبا عبد الله الحسين بن علي بعثني إليك لتأتيه، قال: فطرح كل إنسان ما في يده حتى كأنَّ على رؤوسنا الطير، قال أبو مخنف: فحدثتني دلهم بنت عمرو امرأة زهير بن القين، قالت: فقلت له: أيبعث إليك ابن رسول الله ثم لا تأتيه! سبحان الله! لو تأتيه فسمعت من كلامه ثم انصرفت!

قالت: فأتاه زهير بن القين فما لبث أن جاء مستبشراً قد أسفر وجهه، قالت: فأمر بفسطاطه وثقله ومتاعه فقدم وحمل إلى الحسين عليه السلام ثم قال لامرأته: أنتِ طالق، الحقي بأهلكِ فإنِّي لا أُحب أن يصيبك من سببي إلا خير، ثم قال لأصحابه: من أحبَّ منكم أن يتبعني وإلا فإنَّه آخر العهد، إنِّي سأحدِّثكم حديثاً، غزونا بلنجر، ففتح الله علينا، وأصبنا غنائم، فقال لنا سلمان الباهلي: أفرحتم بما فتح الله عليكم، وأصبتم من الغنائم!

فقلنا: نعم، فقال لنا: إذا أدركتم شباب آل محمد، فكونوا أشد فرحاً بقتالكم معهم منكم بما أصبتم من الغنائم، فأما أنا فإنِّي أستودعكم الله، قال: ثم والله ما زال في أول القوم حتى قُتل»[1].

ويُعَدّ زهير بن القين من شهداء كربلاء البارزين، وكانت له مواقف

(١) تأريخ الطبري: ٣/ ٣٠٢.

جليلة مشهودة مع الحسين عليه السلام في واقعة كربلاء ونصر الحسين عليه السلام بلسانه وسيفه، فمنذ أن التحق بالحسين عليه السلام في زرود إلى حين استشهاده في يوم العاشر من محرم لا نجد موقفاً من المواقف إلا ونجد لزهير بن القين فيه دوراً بارزاً وموقفاً مشهوداً، ولو أردنا أن نتوقف عند هذه المواقف الجليلة كلها لطال بنا المقام.

ويكفي زهيراً فخراً أنَّ الحسين عليه السلام جعله على ميمنته في يوم عاشوراء، وقال له بعد أن خطب القوم ووعظهم: «**أَقبِل، فلعمري لئن كان مؤمن آل فرعون نصح قومه، وأبلغ في الدعاء، فلقد نصحت هؤلاء وأبلغت لو نفع النصح والإبلاغ**»[1]، ووقف الحسين عليه السلام عنده بعد استشهاده ليقول: «**لا يبعدنك الله يا زهير ولعن قاتليك**»[2].

وهو القائل حين أذن له الإمام الحسين عليه السلام في الانصراف: «لا والله لا يكون ذلك أبداً، أأترك ابن رسول الله أسيراً في يد الأعداء وأنجو أنا؟ لا أراني الله ذلك اليوم»، إلا إنَّنا عندما نعود إلى النص التأريخي الذي رواه الطبري وغيره من المؤرخين نجد أنَّ زهيراً كان يتحاشى الحسين عليه السلام في مسيره ويتعمد الابتعاد عنه كراهة للقائه، ثم عندما جمعهما منزل وأرسل رسوله إليه يدعوه، نجده يتثاقل في الإجابة حتى تتدخل زوجته فتحثه على لقاء الحسين عليه السلام وسماع كلامه.

---

(١) مواقف من كربلاء: ١/ ٤٥.

(٢) المناقب: ٤/ ١٠٣.

وهذا المقطع من النص التأريخي يدعونا إلى التساؤل عن السبب الذي حمل زهيراً على كراهية اللقاء بالإمام الحسين عليه السلام!.

يذهب زهير إلى الإمام الحسين عليه السلام بخطوات متثاقلة وبوجه مُكفَهِرّ، ومن دون رغبةٍ منه لهذا اللقاء، ولكن سرعان ما يعود مسرع الخطى وبوجه مسفر مشرق! ثم يأمر بثقله وفسطاطه ورحله أن يُحوَّل إلى رحل الحسين عليه السلام ثم يطلِّق الدنيا وما فيها بلمحة بصر!! فما الذي حصل في هذا اللقاء؟ وما هي الجاذبية التي جذبته إلى هذا التحول؟ وما الذي حدَّثه به الإمام الحسين عليه السلام؟ هل هو حديث سلمان الباهلي- الفارسي- حول غزوة بلنجر؟ أم أنَّ هناك حديثاً آخر لم يفصح عنه زهير إلى حين استشهاده، فبقي سراً من الأسرار التي لا يعرف كنهها؟ ولكن لا داعي للتعجب ولا غرابة، فالحسين عليه السلام هو الهدى ودليل الحق لكل من أتيحت له الحظوة وسعادة الآخرة، بعد أن غطى عليه الجهل والغفلة والخلاف وأزمات الفتن، كزهير بن القين الذي اكتسحه التيار المعادي المغرض، والحق أنَّ ذلك الموقف لقوي الدلالة على حقيقة أنَّ التذكير بالغ النفع للهداية، كما في قوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

(١) الذاريات: ٥٥.

الحلقة الرابعة

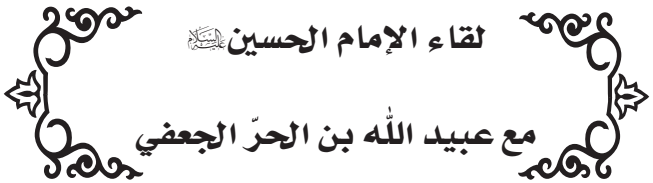

من منازل الطريق الذي مر بها الإمام الحسين عليه السلام ونزل فيها هو «قصر بني مقاتل» وينسب هذا القصر إلى مقاتل بن حسان بن ثعلبة، وسمي القصر باسم صاحبه ويقع بعد عذيب الهجانات وما بين عين التمر والقطقطانة والقريات وهو حصن الأخيضر حالياً، وفي هذا الموضع اجتمع الحسين عليه السلام مع عبيد الله بن الحر الجعفي ودعاه لنصرته فلم يستجب لذلك.

كذلك كان له عليه السلام لقاء مع عمرو بن قيس المشرقي وابن عمه واعتذرا عن نصرة الحسين عليه السلام بكثرة العيال، وفي السياق نفسه كان للحسين عليه السلام لقاء مع الضحّاك بن عبد الله المشرقي الذي استجاب لدعوة الإمام عليه السلام

استجابة مشروطة وله قصة غريبة في فصولها وأحداثها، حيث إنَّ هؤلاء يمثلون عينات لشريحة واسعة من المجتمع الكوفي آنذاك، لذا سنتوقف عند هذه اللقاءات وما جرى فيها.

وملخص قصة عبيد الله بن الحر الجعفي مع الإمام الحسين عليه السلام كما تسطرها كتب المقاتل والسِيَر أنَّ الإمام الحسين عليه السلام وهو في طريقه إلى كربلاء مر بقصر بني مقاتل، فرأى فسطاطاً مضروباً ورمحاً مركوزاً وفرساً واقفاً فسأل عنه، فقيل هو لـ«عبيد الله بن الحر الجعفي» فبعث إليه الحجاج ابن مسروق الجعفي، فسأله ابن الحر عما وراءه، فقال الحجاج: «هدية إليك وكرامة إن قبلتها، هذا الحسين يدعوك إلى نصرته، فإن قاتلت بين يديه أُجرت وإن قُتلت استُشهدت».

فقال ابن الحر: والله ما خرجت من الكوفة إلا لكثرة ما رأيته خارجاً لمحاربته وخذلان شيعته، فعلمت أنَّه مقتول ولا أقدر على نصره، فعاد الحجاج إلى الحسين عليه السلام وأعاد عليه كلام عبيد الله بن الحر، فقام الحسين عليه السلام ومشى إليه في جماعةٍ من أهل بيته وصحبه... ولما استقرَّ المجلس بأبي عبد الله عليه السلام حمد الله وأثنى عليه ثم قال: «**يا بن الحر، إنَّ عليك لذنوباً كثيرة، فهل لك من توبةٍ تمحي بها ذنوبك؟**».

قال: وما هي يا بن رسول الله؟

فقال عليه السلام: «**تنصر ابن بنت نبيك وتقاتل معه**»[1].

(١) أسرار الشهادة: ٢٣٣.

فقال ابن الحر: والله إني لأعلم أنَّ من شايعك كان السعيد في الآخرة، ولكن ما عسى أن أُغني عنك ولم أخلف لك بالكوفة ناصراً! فأنشدك الله أن تحملني على هذه الخطة، فإنَّ نفسي لا تسمح بالموت، ولكن فرسي هذه الملحقة والله ما طلبت عليها شيئاً قط إلا لحقته، ولا طلبني أحد وأنا عليها إلا سبقته، فخذها فهي لك؟

فقال له الحسين عليه السلام: «**أما إذا رغبت بنفسك عنا، فلا حاجة لنا في فرسك ولا فيك وما كنتُ مُتَّخذ المُضلِّين عَضُدًا**»[1].

عندما نتأمل في قصة عبيد الله بن الحر الجعفي، ونحلل موقف هذا الرجل السلبي من دعوة الإمام الحسين عليه السلام لنصرته، نلاحظ جملة من الخصال تؤطِّر شخصية هذا الرجل والتي منها:-

أولاً:-

إنَّ ابن الحر كان ينقصه الوعي السياسي لقضية الإمام الحسين عليه السلام ولهذا فقد الموقف الذي كان ينبغي أن يتَّخذه تجاه دعوة الإمام له لنصرته، فالإمام الحسين عليه السلام لم يكن يطلب من الناس مالاً ولا زعامةً ولا سلطاناً، وإنَّما يطلب منهم مهجهم وأفئدتهم: «**ألا ومن كان باذلاً فينا مهجته**» فلم يدرك ولم يعِ ابن الحر هذه الحقيقة في دعوة الحسين عليه السلام فوقف موقف المعتذر وليته اكتفى بذلك الاعتذار، وإنَّما قدم للحسين فرسه وقال له: «فخذها فهي لك»، فقال له عليه السلام: «**أما إذا رغبت بنفسك عنا فلا حاجة لنا في فرسك**».

(١) أمالي الصدوق: ٩٤.

ثانياً:-

إنَّ الأحداث اللاحقة لوقائع الطف، ودور عبيد الله بن الحر فيها تدل على أنَّ الرجل لم يكن صادقاً في ندمه الذي ادّعاه، فقد بقي على مناصرته لبني أمية، لو كان صادقاً في ندمه على تأخره عن نصرة الحسين عليه السلام لناصر المختار الثقفي على قتلة الإمام الحسين عليه السلام فدعوى الندم يكذبها واقع حال الرجل وتأريخه السياسي في نصرة الأمويين وفي السلب والنهب والإغارة على أموال الناس وأعراضهم.

إنَّ منطق عبيد الله بن الحر مع الإمام الحسين عليه السلام حينما يقول له: «والله إنِّي لأعلم أنَّ من شايعك كان السعيد في الآخرة، فأُنشدك الله أن تحملني على هذه الخطة، فإنَّ نفسي لم تسمح بالموت» ليس منطق الإنسان المسلم المؤمن السوي المشتاق إلى لقاء ربِّه والمبادر إلى طاعته فهو يكره الموت مع علمه بأنَّ الموت والقتل مع الحسين عليه السلام فيه سعادة الآخرة ولقاء الله سبحانه وتعالى، ولكنه يكره لقاء الله مع الحسين عليه السلام والشهداء، ويختار منيته بميتة سوء مع الأمويين وفي ركابهم، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه، كما جاء في الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**من أحبَّ لقاء الله أحبَّ الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه**»[1].

والإمام الحسين عليه السلام كان يطلب ممن يصحبه في هذه المرحلة أن يوطِّئوا أنفسهم للقاء الله فقط، وليس لأي غاية أخرى، ومهما يكن من أمرٍ فإنَّ

(١) ميزان الحكمة: ٤/ ٤٠، بحار الأنوار: ٦/ ١٢٩.

انموذج ابن الحر في التأريخ يتكرر كثيراً مع رجال سجل لنا التأريخ مواقفهم وهي إما مواقف بغي وعدوان أو مواقف تراجع وخذلان للحق وأهله، وابن الحر يمثل شريحة اجتماعية من ذلك المجتمع آنذاك.

الحلقة الخامسة

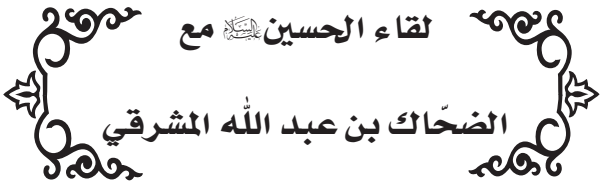

قال أبو مخنف: حدَّثنا عبد الله بن عاصم عن الضحاك بن عبد الله المشرقي قال: قدمت ومالك بن النضر الأرحبي على الحسين عليه السلام، فسلَّمنا عليه، ثم جلسنا إليه فردَّ علينا ورحَّبَ بنا وسألنا عما جئنا له، فقلنا: جئنا لنسلِّم عليك، وندعو الله لك بالعافية، ونحدث بك عهداً ونخبرك خبر الناس، وإنَّا نحدثك أنَّهم قد جمعوا على حربك فما رأيك؟ فقال الحسين عليه السلام: «**حسبي الله ونعم الوكيل**»!

قال: فتذامنا وسلَّمنا عليه، ودعونا الله له، قال عليه السلام: «**فما يمنعكما من نصرتي؟**».

فقال مالك بن النضر: عليَّ دين ولي عيال، فقلت له: إنَّ عليَّ ديناً، وإنَّ لي لعيالاً، ولكنك إن جعلتني في حلٍّ من الانصراف، إذا لم أجد مقاتلاً قاتلت عنك ما كان لك نافعاً وعنك دافعاً، قال عليه السلام: «**فأنت في حلٍّ**»، فأقمت معه[1].

هذا هو المشهد الأول من لقاء المشرقي بالإمام الحسين عليه السلام حيث انصرف مالك بن النضر الأرحبي إلى دَيْنه وعياله، تاركاً الإمام الحسين عليه السلام ونصرته، وبقي الضحاك بن عبد الله المشرقي مع الحسين عليه السلام لنصرته بعد أن اعتذر أولاً وقال: إنَّ عليَّ ديناً، وإنَّ لي لعيالاً، ثم استجاب استجابة مشروطة وهي: إن وجده وحيداً قاتل عنه، وقبل الحسين عليه السلام ذلك منه وجعله في حلٍّ.

والمشهد الثاني من موقف الضحاك بن عبد الله المشرقي في يوم العاشر من المحرم وفي أرض المعركة أيضاً برواية أبي مخنف عن عبد بن عاصم عن الضحاك، قال: لما رأيت أصحاب الحسين عليه السلام قد أُصيبوا وقد خلص إليه وإلى أهل بيته عليهم السلام ولم يبق معه غير سويد بن عمرو بن أبي المطاع الخثعمي وبشير بن عمرو الحضرمي، قلت له: يا بن رسول الله، قد علمت ما كان بيني وبينك قلت لك: أُقاتل عنك ما رأيت مقاتلاً، فإذا لم أر مقاتلاً، فأنا في حلٍّ من الانصراف فقلت لي: نعم.

قال: فقال عليه السلام: «**صدقت، وكيف لك بالنجاء؟، إن قدرت على ذلك**

(١) كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ١/ ٣٧٧.

فأنت في حلٍّ، قال: فأقبلت على فرسي وقد كنت حيث رأيت خيل أصحابنا تُعقَر، أقبلتُ بها حتى أدخلتها فسطاط أصحابنا بين البيوت، وأقبلت أقاتل معهم راجلاً فقتلت يومئذ بين يدي الحسين عليه السلام رجلين، وقطعت يد آخر، وقال لي الحسين عليه السلام يومئذ مراراً: «**لا تشلل، لا يقطع الله يدك، جزاك الله خيراً عن أهل بيت نبيك** صلى الله عليه وآله»[1].

فلما أذن لي استخرجت الفرس من الفسطاط، ثم استويت على متنها ثم ضربتها حتى قامت على السنابك رميت بها عرض القوم فأفرجوا لي، وأتبعني منهم خمسة عشر رجلاً حتى انتهيت إلى قرية قريبة من شاطئ الفرات، فلما لحقوا بي عطفت عليهم فعرفني بعضهم فقالوا: «هذا الضحاك بن عبد الله المشرقي، هذا ابن عمنا ننشدكم الله لما كففتم عنه! فقال ثلاثة نفر من بني تميم كانوا معه: بلى والله لنجيبَنَّ إخواننا وأهل دعوتنا إلى ما أحبُّوا من الكفِّ عن صاحبهم».

قال: فلما تابع التميميون أصحابي كفَّ الآخرون... فنجّاني الله.

لقد التحق بالإمام الحسين عليه السلام في كربلاء بعض المضحين والأبدال من أمثال حبيب بن مظاهر الأسدي، ممن وطَّنوا أنفسهم على التضحية والشهادة في سبيل الله فلم يبالوا بالمخاطر التي سوف تواجههم في طريقهم إلى كربلاء، بخلاف أمثال الضحّاك ممن كان يحمل الحب والتقدير والاحترام للحسين عليه السلام ولم يكن سيفه على الحسين عليه السلام، إلا أنَّه لم يوطن

(١) مقتل أبي مخنف للطبري: ١/ ١١٧.

نفسه على التضحية ونصرة الإمام والاستشهاد بين يديه.

كذلك يظهر من الرواية أنَّ الضحاك وصاحبه كانا عارفين بحق الإمام الحسين عليه السلام وذمته وحرمته في الإسلام وموقعه من رسول الله صلى الله عليه وآله، حيث تقول الرواية: «فتذامما وسلَّمنا عليه ودعونا الله له» والتذمم يعني حفظ الذِّمام والعهد والحق والحرمة، إلّا أنَّ الذي أعاق حركتهما بعد أن أقبلت عليهما سعادة الدنيا والآخرة هما وجهتا الحياة الدنيا: التعلقات والشهوات والتبعات والمسؤوليات اللذان عبَّر عنهما الضحاك وصاحبه بالدَّين والعيال «إنَّ لي ديناً وأنَّ لي عيالاً».

وبقيت هذه التبعات «الدَّين والعيال» تلاحق الضحاك بن عبد الله المشرقي حتى ظهيرة يوم عاشوراء؛ حيث تساقط أصحاب الحسين عليه السلام واحداً بعد الآخر شهداء، وهرب الضحاك إلى دينه وعياله! ولم يكمل مشوار الجهاد والشهادة مع الحسين عليه السلام ليسجل مع هؤلاء الشهداء الذين بذلوا مهجهم دون الحسين عليه السلام فكانوا سادة الشهداء.

لم يطلب الضحاك من الدفاع عن الحسين عليه السلام ومن القتال بين يديه دنيا، وهذا حق يجب أن نذكره ونعترف له به، لكنه مع ذلك كله لم يتحرر من حب الدنيا ومن التعلق بها ومن تبعات الدُّنيا، حتى عندما ساقه التوفيق والسعادة الإلهية إلى هذه المعركة الحاسمة بين الحق والباطل في التأريخ، ووضعه الله تعالى في أشرف موقع يتصوره الإنسان وهو موقع الدفاع عن الإسلام إلى جنب ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله.

وعلى الرغم من مواقف الضحاك مع الحسين عليه السلام إلا أنَّه لم يحرم مما حُرِمنا منه نحن وهو القتال بين يدي الإمام الحسين عليه السلام ومن دعائه له.

الحلقة السادسة

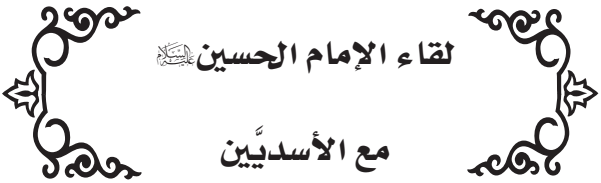

يـا مـن تصدى للطغاة بنهجـه
ومـشـى يـــردّد لـلـعِـدا مـسراكـا
يـا أيُّهـا السبط المخضَّب بالدما
عـبـق الـرسـالـة يـرتـوي بحماكا
يـا قبلة الأحـــرار صـوتـك منقذ
في كـــلِّ حـــينٍ يحـــذروه عـداكـا

كان من ضمن الشخصيات التي التقى بها الإمام الحسين عليه السلام وهو في طريقه إلى كربلاء الأسديان اللذان نقلا خبر استشهاد مسلم بن عقيل رضي الله عنه

للإمام الحسين عليه السلام، ونص اللقاء ما رواه الشيخ المفيد عن عبد الله بن سليمان والمنذر الأسديين أنَّهما قالا: «لما قضينا حجنا لم يكن لنا همة إلا اللحاق بالحسين عليه السلام في الطريق؛ لننظر ما يكون من أمره وشأنه، فأقبلنا ترقل بنا ناقلتنا مسرعين حتى لحقناه بـ «زرود» وهو موضع يقرب من الثعلبية، فلما دنونا منه إذا نحن برجل من أهل الكوفة قد عدل عن الطريق حين رأى الحسين عليه السلام، فوقف الحسين عليه السلام كأنَّه يريده ثم تركه ومضى ومضينا نحوه، فقال أحدنا لصاحبه: اذهب بنا إلى هذا فلنسأله، فإن كان عنده خبر الكوفة علمناه، فمضينا حتى انتهينا إليه، فقلنا: السلام عليك.

قال: وعليكم السلام ورحمة الله، ثم قلنا: فمن الرجل؟

قال: أسدي، فقلنا: أخبرنا عن الناس وراءك.

قال: نعم، لم أخرج من الكوفة حتى قُتِلَ مسلم بن عقيل، وهانئ بن عروة، فرأيتهما يجران بأرجلهما في السوق، فأقبلنا حتى لحقنا بالحسين عليه السلام، فسايرناه حتى نزل الثعلبية ممسياً، فجئنا حين نزل، فسلَّمنا عليه فردَّ علينا، فقلنا له: يرحمك الله، إنَّ عندنا خبراً، فإن شئت حدَّثنا علانية، وإن شئت سراً، فنظر إلينا وإلى أصحابه ثم قال عليه السلام: «**ما دون هؤلاء سرٌّ**»، فقلنا له: أرأيت الراكب الذي استقبلك عشاء أمس؟

قال: «**نعم، وقد أردتُ مسألته**».

فقلنا: قد استبرأنا لك خبره، وكفيناك مسألته، وهو امرؤٌ من أسد

منا، ذو رأي وصدق، وفضل وعقل، وإنَّه حدَّثنا أنَّه لم يخرج من الكوفة حتى قتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة، وحتى رآهما يُجرَّان في السوق بأرجلهما، فقال: «**إنا لله وإنا إليه راجعون، رحمة الله عليهما**».

فردَّد ذلك مراراً، فقلنا: ننشدك الله في نفسك وأهل بيتك إلّا انصرفت من مكانك هذا، فإنَّه ليس لك بالكوفة ناصر ولا شيعة، بل نتخوف أن يكونوا عليك، فنظر إلى بني عقيل وقال عليه السلام: «**ماذا ترون؟ فقد قُتِل مسلم**».

فقالوا: والله لا نرجع حتى نصيب ثأرنا أو نذوق ما ذاق، فنظر إلينا الحسين عليه السلام فقال: «**لا خير في العيش بعد هؤلاء**»[1]، قالا: فعلمنا أنَّه قد عزم له رأيه على المسير، فقلنا: خار الله لك، فقال: **رحمكما الله**، قالا: فقال له بعض أصحابه: إنَّك والله ما أنت مثل مسلم بن عقيل، ولو قدمت الكوفة لكان الناس إليك أسرع فسكت لعلمه عليه السلام بعاقبة الأمر».

لقد تلقى الإمام الحسين عليه السلام خبر استشهاد مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة بحزن وأسى من جهة وبرضا وتسليم بقضاء الله وقدره من جهة أخرى، ولهذا لم يزد على قوله: «**إنا لله وإنا إليه راجعون**» يكرر ذلك مراراً ويترحم عليهما وكانت بالنسبة إلى الطالبيين وآل عقيل بمثابة الصدمة العنيفة التي هزتهم؛ إذ كان مسلم بن عقيل بمثابة كبيرهم، ومن الشخصيات التي ٱلتقى بها الإمام الحسين عليه السلام وهو في طريقه إلى كربلاء أبو هرة الأسدي، أما ما دار بينهما من حوارٍ فقد قال ابن طاووس:-

(١) الإرشاد: ٢٠٥.

سار الحسين عليه السلام حتى نزل الثعلبية وقت الظهيرة فوضع رأسه فرقد، ثم استيقظ فقال عليه السلام: «**قد رأيت هاتفاً يقول: أنتم تسرعون والمنايا تسرع بكم إلى الجنة**»، فقال ابنه علي عليه السلام: «**يا أبَه أفَلسنا على الحق؟**»، فقال عليه السلام: «**بلى يا بُني، والله الذي إليه مرجع العباد**».

فقال علي عليه السلام: «**إذن، لا نبالي بالموت**».

فقال له الحسين عليه السلام: «**جزاك الله يا بُنَي خير ما جزى والداً عن ولدٍ**»، ثم بات في الموضع المذكور، فلما أصبح إذا برجل من أهل الكوفة يكنى أبا هرّة الأزدي قد أتاه، فسلَّم عليه ثم قال: «يا بن رسول الله ما الذي أخرجك عن حرم الله وحرم جدك رسول الله؟».

فقال الحسين عليه السلام: «**ويحك يا أبا هرة! إنَّ بني أُمية أخذوا مالي فصبرت، وشتموا عرضي فصبرت، وطلبوا دمي فهربت، وايم الله لتقتلني الفئة الباغية وليلبسنَّهم الله ذلاً شاملاً وسيفاً قاطعاً وليسلطنَّ الله عليهم من يذلهم حتى يكونوا أذل من قوم سبأ إذ ملكتهم امرأة فحكمت في أموالهم ودمائهم**»[1].

قال الإمام الصادق عليه السلام: «**فسار الحسين عليه السلام وأصحابه، فلما نزلوا الثعلبية ورد عليه رجل يقال له بشر بن غالب فقال: يا بن رسول الله أخبرني عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾**[2]، فقال الحسين عليه السلام: «**إمامٌ دعا إلى هدى فأجابوه إليه، وإمامٌ دعا إلى ضلالةٍ فأجابوه**

(١) بحار الأنوار: ٤٤/ ٣٦٨.
(٢) الإسراء: ٧١.

إليها، هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار، وهو قوله تعالى: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾[1]»[2].

التقى الإمام الحسين عليه السلام ببطن العقبة عندما نزل عليها بشيخ من بني عكرمة يقال له عمرو بن لوذان، فسأله أين تريد؟ فقال له الحسين عليه السلام: «**الكوفة**».

فقال الشيخ: أنشدك لما انصرفت فوالله ما تقدم إلا على الأسنة وحد السيوف، وإنَّ هؤلاء الذين بعثوا إليك لو كانوا كفوك مؤنة القتال ووطؤوا لك الأشياء فقدمت عليهم كان ذلك رأياً، فأما على هذه الحال التي تذكر فإنِّي لا أرى لك أن تفعل، فقال له عليه السلام: «**يا عبد الله ليس يفي عليَّ الرأي وإنَّ الله عزَّ وجلَّ لا يغلب على أمره... والله لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي، فإذا فعلوا سلَّط الله عليهم من يذلهم**»[3].

(١) الشورى: ٧.

(٢) بحار الأنوار: ٤٤/ ٣١٣.

(٣) معالم المدرستين: ٣/ ٧١، البداية والنهاية: ٨/ ١٦٩.

الحلقة السابعة

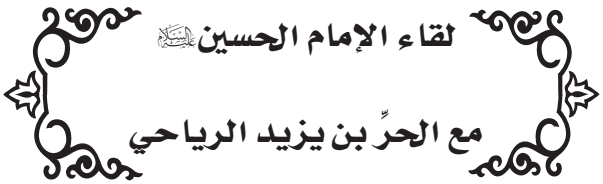

مـــررتُ عـلى أبـيـات آل محمدٍ
فـلـم أرهـــا أمـثـالهـا يـوم حَـلَّـتِ
ألم ترَ أنَّ الشمس أضحت مريضةً
لفقد حسين والـبـلاد اقشعرَّتِ
وكـانـوا رجـاءً ثـم أضـحـوا رزيـةً
لقد عظُمت تلك الرزايا وجلَّتِ

كان لقاء الإمام الحسين عليه السلام بالحر الرياحي والكتيبة المسلّحة التي معه والمؤلفة من ألف فارس، في منطقة «ذي حسم» وهو جبل يقع بين شراف

والبيضة، وهو من منازل الطريق ولم يكن لقاء الحسين عليه السلام مع الحر والقوة القتالية التي معه محض صدفة ولا لقاء ودٍّ ومحبة، وإنّما كان لقاء مواجهة عسكرية وعداء؛ حيث أُعدَّت هذه القوة ضمن الإجراءات العسكرية الصارمة التي اتخذها عبيد الله بن زياد «لعائن الله عليه» لمنع الحسين عليه السلام من الوصول إلى الكوفة.

والغرض من إرسال هذه الكتيبة المسلحة هو قطع الطريق على الإمام الحسين عليه السلام ومنعه من الوصول إلى الكوفة ودخولها دخول القادة الفاتحين، وإنَّما يدخلها أسيراً من قبل عبيد الله بن زياد بقيادة الحر، وذلك خشية أن تنقلب الأوضاع فيها مرة أخرى بعد أن سيطر عليها عبيد الله بن زياد «عليه لعنة الله»، وأنهى فيها ذلك المد الثوري بحضور مسلم بن عقيل رضي الله عنه، وقد تجسدت في هذا اللقاء بين الإمام الحسين عليه السلام والحر جملة من المواقف والكلمات ينبغي التوقف عندها والتأمل فيها لاستخلاص الدروس والعبر منها.

من المواقف والخطب التي يجب التوقف عندها والتأمل في كلماتها هي خطبة الإمام الحسين عليه السلام بعد لقائه مع الحر بن يزيد الرياحي، فبعد أن نفى الحر بن يزيد علمه بأولئك الذين كتبوا للإمام الحسين عليه السلام كما نفى أن يكون منهم، ثم بيَّن للحسين عليه السلام حدود مهمته وهي أن يأخذه إلى عبيد الله بن زياد، فقال له الحسين عليه السلام: «**الموت أدنى إليك من ذلك**، ثم قال لأصحابه: **قوموا فاركبوا**»، فحال الحر ومن معه بينهم وبين الانصراف، ودار بين

الحسين عليه السلام والحر حوار انتهى باقتراح من الحر بأن يأخذ الحسين عليه السلام طريقاً لا يُدخله الكوفة ولا يرده إلى المدينة، حتى يكتب إلى ابن زياد بالأمر وينتظر منه الأوامر الجديدة.

فسار عليه السلام في أصحابه والحر يسايره، وعندما وصل الحسين عليه السلام إلى منطقة «البيضة» خطب الإمام هذه الخطبة بأصحابه وأصحاب الحر، ولأهمية هذه الخطبة ومضامينها السياسية الخطيرة، نذكرها بنص رواية الطبري، حيث روى الطبري:

«أنَّ الحسين خطب أصحابه وأصحاب الحر بالبيضة، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: **أيُّها الناس، إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال:«من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله»... ألا وإنَّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلوا حرام الله وحرَّموا حلاله، وأنا أحق من غيري، قد أتتني كتبكم، وقدمت عليَّ رسلكم ببيعتكم، أنَّكم لا تسلموني ولا تخذلوني، فإن تممتم على بيعتكم تصيبوا رشدكم، فأنا الحسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، نفسي مع أنفسكم، وأهلي مع أهليكم، فلكم فيَّ أسوة، وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدكم، وخلعتم بيعتي من أعناقكم، فلعمري ما هي لكم بنُكر، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي مسلم، والمغرور من اغترَّ بكم فحظكم**

أخطأتم، ونصيبكم ضيَّعتم، ومن نكث فإنَّما ينكث على نفسه وسيغني الله عنكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»[1].

فالملاحظ من هذه الخطبة أنَّها من أطول خطب الإمام عليه السلام منذ خروجه من المدينة وإلى حين وصوله إلى البيضة من منازل الطريق، ومن أوسعها وأشملها بل تُعَدّ هذه الخطبة من أشهر خطب الإمام السياسية إلى جانب خطبتي يوم عاشوراء، فالإمام الحسين عليه السلام طرح على الأمة المبررات الشرعية والقانونية والأسس الثابتة لحركته، وعندما نستعرض خطب الإمام الحسين عليه السلام وكلماته في أكثر من مكان ومناسبة ومنها هذه الخطبة، نجد أنَّ الإمام عليه السلام قد بيَّن قضيَّتين، تتعلق الأولى بالحاكم، والثانية بالأمة أي مسؤولية الحاكم تجاه الأمة ومسؤولية الأمة تجاه الحاكم، لقد كان الإمام عليه السلام يعيش في نطاق المجتمع الإسلامي والذي كان يتزعمه حاكم يتظاهر بالإسلام ويحكم باسم خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله، فطرح القضية هنا من خلال حديث رسول الله صلى الله عليه وآله: «**من رأى منكم سلطاناً جائراً...**»، ثم طبق الإمام هذا المفهوم على المصداق والواقع الفعلي لحكام بني أمية فقال عليه السلام: «**ألا وإنَّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمٰن، وأحلوا حرام الله وحرَّموا حلاله...**».

إنَّ الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله يريد من الأمة الإسلامية أن تواجه مسألة الحكم من موقع المسؤولية، وليس من موقع اللامبالاة، فإذا كان الحاكم

(١) الكامل في التأريخ: ٢/ ١٦٥.

عادلاً ويحكم بالقسط والعدل وبما أنزل الله تعالى، وبما جاء به رسولهﷺ وكان مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ**﴾[1]، وقد أشار الإمام الحسين عليه السلام في رسالته إلى أهل الكوفة والتي حملها مسلم بن عقيل رضي الله عنه إلى صفات الحاكم العادل الذي ينبغي على الأمة طاعته والانقياد لأوامره، حيث جاء في تلك الرسالة: «... **فلَعمري ما الإمام إلا العامل بالكتاب، والآخذ بالقسط، والدائن بالحقِّ، والحابس نفسه على ذات الله...**»[2]، هكذا يشخص الإمام الحسين عليه السلام وعن لسان جده رسول اللهﷺ واجب الأمة تجاه الحاكم الظالم، ولا يختص خطابه الذي أطلق منه صرخة الحق هذه بالمشافهين به في زمانه ومكانه وإنَّما هي للأجيال القادمة مهما طال بهم الزمن، وهو المنهج الذي ينبغي لهم التعامل على أساسه مع قضية الحاكم، كما أمرهم رسول اللهﷺ بذلك.

(١) الحج: ٤١.

(٢) بحار الأنوار: ٤٤/ ٣٣٤.

الحلقة الثامنة

سقى الله أجداثاً على أرض كربلاء
مرابيع أمطارٍ من المُزناتِ
وصلى على روح الحسين حبيبه
قتيلاً لدى النهرين بالفلواتِ
قتيلاً بلا جرم فجعنا بفقده
فريداً ينادي: أين أين حُماتي؟

لم تسجل لنا وقائع الكوفة وأحداثها سواء قبل دخول مسلم بن عقيل رضي الله عنه إليها، أم بعد دخوله وأخذه البيعة من أهلها إلى حين استشهاده،

أي حضور يذكر للحر بن يزيد الرياحي، فلم يكن من المشاركين في الاجتماعات السرية التي تعقد في بيت سليمان بن صرد الخزاعي استعداداً لمكاتبة الحسين عليه السلام ودعوته إلى الكوفة، ولم يكن ممن كاتب الحسين عليه السلام ودعاه أو بايعه بواسطة مسلم بن عقيل رضي الله عنه، مع أنَّ الحر بن يزيد لم يكن من عامة الناس وإنَّما كان شريفاً في قومه جاهليةً وإسلاماً، وكان في الكوفة رئيساً، وشخصية مثل الحر وبهذه المكانة الاجتماعية لا تهمل مواقفه وتحركاته، إلا أنَّ المؤرخين لم يسجلوا له أيَّ تحرك في أحداث الكوفة حتى في الجبهة الأخرى المعادية للحسين عليه السلام وحركته.

ولهذا قد يكون الحر صادقاً في قوله للحسين عليه السلام: «إنّا والله ما ندري ما هذه الكتب التي تَذكُر» وقوله: «فإنا لسنا من هؤلاء الذين كتبوا إليك»، ومهما يكن من أمر هذه الفترة، فإنَّ ظهور الحر بن يزيد الرياحي وجيشه قبل وصول الإمام الحسين عليه السلام إلى الكوفة قد غيَّر مجرى الأحداث، وأخذت الأحداث بعد ذلك تأخذ طابعاً آخر، وهو طابع وشكل المواجهة المسلحة والتي انتهت بفصولها الدامية في كربلاء يوم العاشر من محرم.

وشخصية الحر بن يزيد باعتباره من شهداء كربلاء، وله موقف مشرف في يوم عاشوراء من الحسين عليه السلام ونهضته تحتاج إلى دراسة، ووقفة تأمل وعندما ندرس مواقف الحر بن يزيد الرياحي من الحسين عليه السلام ونهضته نجدها على نحوين:

الأول: الموقف المعادي والصاد والمجعجع بالحسين عليه السلام.

والثاني: الموقف الواعي والمضحّي في ركب الحسين عليه السلام.

أما الموقف الأول، فرغم كونه موقف عداء وصدٍّ، كان له تأثير سلبي في مجريات الأحداث في كربلاء، إلا أنَّنا نجد في مجمل مفردات هذا الموقف وطريقة تعامل الحر مع الحسين عليه السلام وهو في موقف العداء، جوانب نيرة ومشاهد طيبة تعكس لنا خلفية الحر المعرفية والسلوكية، فلا بُدَّ من التوقف عندها إنصافاً له، ومعرفةً لحقه وهي:

أولاً- معرفته بحق أهل البيت والإمام الحسين عليه السلام:-

وقد انعكس ذلك على سلوكه وكلماته مع الإمام الحسين عليه السلام، فنجده يقتدي بالإمام عليه السلام في صلاته في منازل الطريق، ولا يرد على الإمام الحسين عليه السلام عندما قال له: «**ثكلتك أمّك ما تريد؟**» وإنَّما يقول له بأدبٍ جم: «أما والله لو غيرك من العرب يقولها لي، وهو على مثل الحال التي أنت عليها ما تركت ذكر أُمِّه بالثكل، كائناً من كان، ولكن ما لي إلى ذكر أمك من سبيل إلا بأحسن ما يُقدر عليه»، وفي رواية أخرى: أنَّ الحر قال للحسين عليه السلام: «... وأنا أعلم أنَّه لا يوافي القيامة أحد من هذه الأمة إلا وهو يرجو شفاعة جدك محمد صلى الله عليه وآله وأنا خائف إن أنا قاتلتك أن أخسر الدُّنيا والآخرة».

ثانياً- إشفاقه على الإمام الحسين عليه السلام:-

عندما نراجع كلمات المشفقين على الحسين عليه السلام والتي مرَّت بنا سابقاً، نجدهم يخافون على الحسين عليه السلام من أن تكون وجهته التي هو موليها فيها استئصاله وهتك حرمته، ولهذا كانوا يحاولون منع الحسين عليه السلام من الخروج

شفقة عليه، وعندما نراجع بعض كلمات الحر مع الحسين عليه السلام، نجد لغة الإشفاق والتخويف بالقتل نفسها.

وكان مما جاء في رواية الطبري: «... وأقبل الحر يسايره وهو يقول له: يا حسين، إنِّي أُذكِّرك الله في نفسك، فإنِّي أشهد لئن قاتلت لتُقتلن، ولئن قوتلت لتهلكن فيما أرى»، فقال له الحسين عليه السلام: «**أفبالموت تخوِّفني! وهل يعدو بكم الخطب أن تقتلوني! ما أدري ما أقول لك! ولكن أقول كما قال أخو الأوس لابن عمِّه ولقِيَه وهو يريد نصرة رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال له: أين تذهب؟ فإنَّك مقتول، فقال:-**

سأمضي وما بالموت عارٌ على الفتى
إذا ما نوى حقّاً وجاهد مسلماً
وواسى رجالاً صالحين بنفسه
وخالف مثبوراً وفارق مجرماً
فإن عشت لم أندم وإن متُّ لم أُلم
كفى بك ذلّاً أن تعيش وتُرغما
أُقدِّم نفسي لا أُريد بقاءها
لتلقى خميساً في النزال عرمرماً[1]

ثالثاً- كراهته قتال الحسين عليه السلام:-

كان الحر يكرر على الحسين عليه السلام قوله: «إنِّي لم أؤمر بقتالك»، ويقول

(١) قراءة في مقتل الحسين عليه السلام: ١/ ١٣٤.

له: «فلعلَّ الله أن يأتي بأمرٍ يرزقني فيه العافية من أن أُبتلى بشيءٍ من أمرك».

هذه المواقف وغيرها تدل على أنَّ الحر بن يزيد كان يريد أن تنتهي مهمته بالعافية ومن دون أن يُبتلى بنزاع مسلَّح مع الحسين عليه السلام، ولهذا ضبط نفسه ولم تأخذه حالة الانفعال أو زهو القيادة، ولم يستخدم القسوة المفرطة كما استخدمها من جاء من بعده من قادة جيش عبيد الله بن زياد «عليهم لعائن الله».

إنَّ الذي يبدو من خلال جملة مواقف الحر في يوم العاشر من محرم، أنَّ الحر قد وصل إلى قمة التكامل وفي مدة زمنية لا تحسب في حساب الزمن، فالحر رضي الله عنه لم يكن يتوقع أن تصل الأمور إلى مقاتلة الحسين عليه السلام، وإنَّما كان يتوقع أن تنتهي الأمور بنوع من التسوية بين الطرفين، ولهذا كان قد طلب من الحسين عليه السلام في منازل الطريق أن يكتب إلى يزيد بن معاوية، أو إلى عبيد الله بن زياد «عليهم لعنة الله»، ولكنه حينما رأى يوم العاشر من محرم جدية الموقف، وإنَّ هؤلاء القوم قد أعدوا للحرب عدتها، وكل ما ذكره لهم الحسين عليه السلام في خطبتيه لم يثنهم عن عزمهم على إشعال الحرب، توجه إلى عمر بن سعد متسائلاً: أمقاتل أنت هذا الرجل؟ قال: إي والله قتالاً أيسره أن تسقط الرؤوس، وتطيح الأيدي، قال: أما لك في واحدة من الخصال التي عرض عليكم رضا؟

قال عمر بن سعد: أما والله لو كان الأمر إليَّ لفعلت، ولكن أميرك قد أبى ذلك.

أقبل الحر بعد حواره مع عمر بن سعد ووقف مع الناس، ولكن صحوة الضمير أخذت منه مأخذها فتحرَّك نحو هاتف الضمير، فأخذ يدنو من الحسين عليه السلام قليلاً قليلاً وقال: «إنِّي والله أُخيِّر نفسي بين الجنة والنار، ووالله لا أختار على الجنة شيئاً ولو قُطِّعت وحُرِّقت»، ثم ضرب فرسه فلحق بالحسين عليه السلام، فقال له: جعلني الله فداك يا بن رسول الله، أنا صاحبك الذي حبستك عن الرجوع، وسايرتك في الطريق، وجعجعتُ بك في هذا المكان، والله الذي لا إله إلا هو ما ظننتُ أنَّ القوم يردون عليك ما عرضت عليهم أبداً، ولا يبلغون منك هذه المنزلة، فقلتُ في نفسي: لا أُبالي أن أطيع القوم في بعض أمرهم، ولا يرون أنِّي خرجتُ من طاعتهم، وأما هم فسيقبلون من الحسين عليه السلام هذه الخصال التي تعرض عليهم، ووالله لو ظننت أنَّهم لا يقبلونها منك ما ركبتها منك وإنِّي قد جئتك تائباً مما كان مني إلى ربي، ومواسياً لك بنفسي حتى أموت بين يديك، أفترى ذلك لي توبة؟».

قال الحسين عليه السلام: «**نعم، يتوب الله عليك، ويغفر لك، ما اسمك؟**»[1].

قال: الحر بن يزيد.

فقال له الحسين عليه السلام: «**أنتَ الحرُّ كما سمَّتك أُمّك، أنت الحر في الدُّنيا، وأنت الحر في الآخرة**»[2].

---

(١) الإرشاد: ٢/ ١٠٠.

(٢) بحار الأنوار: ٤٥/ ١٤.

لقد تحرَّر الحر من دنيا المعصية إلى دنيا التوبة، وانتقل من موقف المعادي إلى موقف الموالي، والتحق بركب ولي الله، بعد أن كان في ركب أعداء الله ورسوله ﷺ، وكل ذلك خلال لحظاتٍ لا تعد في عمر الزمن طوى فيها الحر سلم التكامل إلى قمته.

الفهرس

الحلقة الأولى

توجُّه الحسين عليه السلام نحو العراق ٥

الحلقة الثانية

لقاء الإمام الحسين عليه السلام مع الفرزدق ١٠

الحلقة الثالثة

لقاء الإمام الحسين عليه السلام مع زهير بن القين البجلي ١٥

الحلقة الرابعة

لقاء الإمام الحسين عليه السلام مع عبيد الله بن الحرّ الجعفي ١٩

الحلقة الخامسة

لقاء الحسين عليه السلام مع الضحّاك بن عبد الله المشرقي ٢٤

الحلقة السادسة

لقاء الإمام الحسين عليه السلام مع الأسديَّين ٢٩

الحلقة السابعة

لقاء الإمام الحسين عليه السلام مع الحرِّ بن يزيد الرياحي ٣٤

الحلقة الثامنة

شخصية الحر بن يزيد الرياحي رضي الله عنه ٣٩